محمود شلبي

صوت النبي

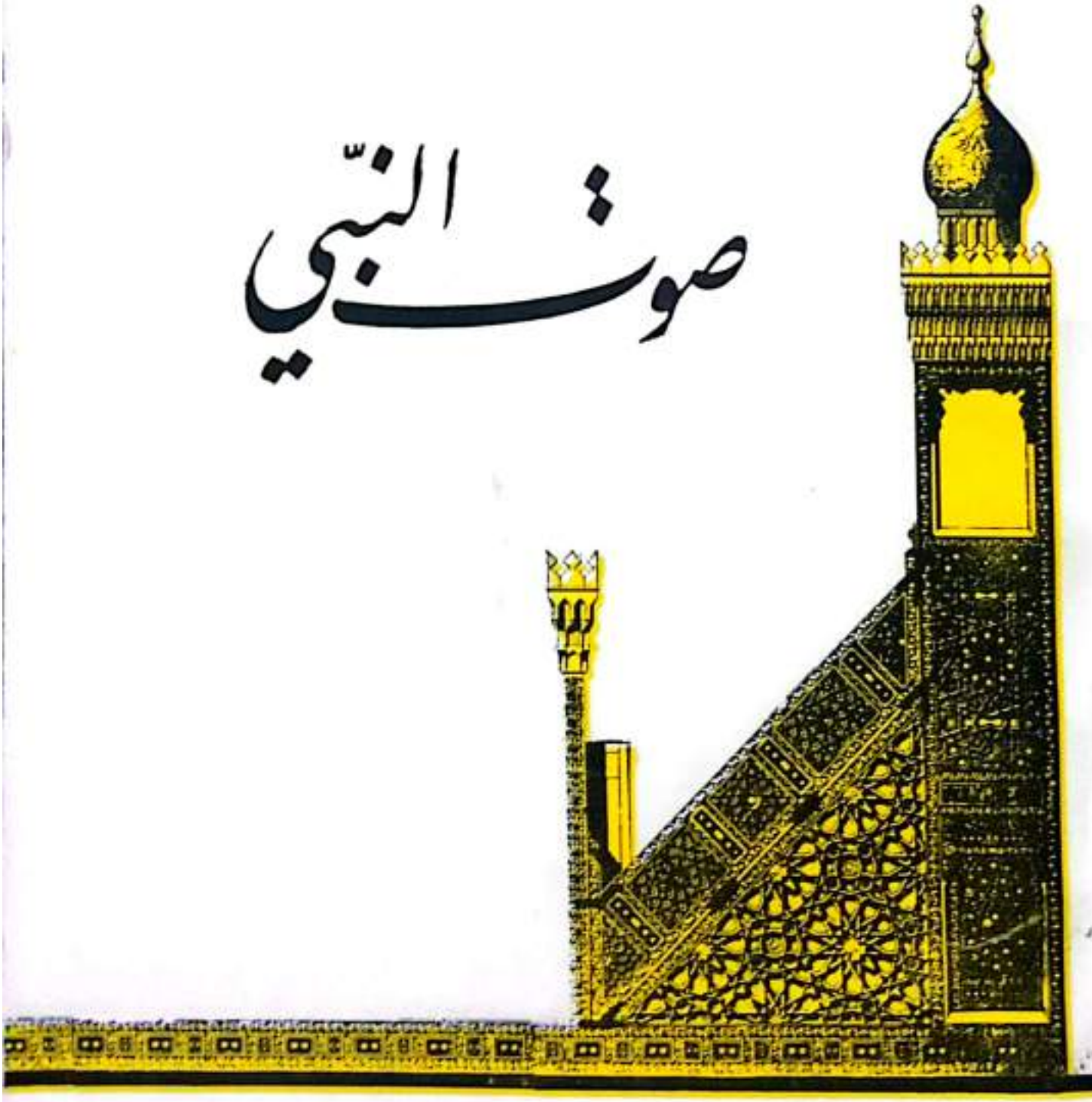

منشورات المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

صوت النبي

محمود شلبي

صوت النبي

منشورات المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

الاهداء . . . .

اللهم . . . منك . . . وإليك

محمود شلبي

الطبعة الأولى

١٩٨١

مقـدمة

أحمد الله . . . الذي لا إله إلا هو . . .

وأصلي . . . وأسلم . . . على خيـر نبيّ . . .
وآخر نبيّ . . . وإمام كل نبيّ . . .

وبعد . . .

كنت أقرأ في تفسير قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لا تَرفَعوا أصواتَكم فوْقَ صَوْتِ النَّبيِّ . ولا تَجْهروا لهُ بالقولِ . كجَهْرِ بعضِكم لبعض ، أن تَحبطَ أعمالُكم وأنتم لا تشعُرونَ . ﴾

فألهمني الله تعالى . . . أن التقط ذلك الإسم الجميل . . . « صوتُ النبيّ » . . . وأن أجعله عنوانا

لكتاب جميل . . . يسجل عن رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . .

بعضا من أحاديثه الجوامع . . . التي تعتبر أصولا عامة . . . ونواميس شاملة . . . وقوانين كاملة . . . في شتى شئون الحياة . . .

لتكون لكل إنسان . . . نورا . . . يضيء . . . بإذن الله . . . في ظلمات الحياة . . .

وقد إخترتها . . . من بين مئات من الأحاديث الشريفة . . .

من أعلى الأسانيد . . . وأدق المراجع . . .

ليجد فيها إنسان اليوم . . . ما يحتاج إليه . . . من شئون الحياة اليوم . . .

وأتبعتها بتبيان لطيف . . . لما خفى من معانيها . . . تحت عنوان « **بين يدي الحديث** » . . .

ووضعت تحت ذلك العنوان . . . خلاصة شاملة . . . لما أبدعه الأقدمون . . . في شرح كل حديث . . .

وقدمتها إليك في أعذب أسلوب . . .

حتى إذا تكاملت لك معاني الحديث . . . بأسلوب عظماء القدماء من العلماء . . .

أتبعث ذلك بباب مبتكر هو « **اشعاعات الحديث** » . . .

وقدمت لك فيه ما يمكن أن يشعه الحديث من إشعاعات في حياتنا المعاصرة . . .

ولعلى بذلك أكون قد أشبعت رغبات الذين لا يؤمنون إلا بالقديم . . .

كما أشبعت رغبات الذين يتطلعون إلى أحدث ما تطورت إليه الحياة . . .

ولم أكثر . . . في هذا الباب المبتكر . . . من القيل والقال . . . في أعقاب الأحاديث الشريفة . . .

حتى لا تحجب ظلماتي . . . عن القارىء . . . أنوار كلامه . . . صلى الله عليه وسلم . . .

فجاءت . . . بحمد الله . . . نورا يتشعشع . . . وزهرا يترعرع . . .

وها هي تسعى إليك . . . بإذن ربها . . .

فافتح فؤادك . . .

واسبح في أمواج أنوارها . . .

فإنها « صوتُ النبيّ » . . .

وما أدراك . . . ما النبيّ ؟ !!!

القاهرة في ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م

إنَّما . . الأعمالُ . . بالنِّياتِ . . ؟!

- ١ -

﴿ عن عُمرَ بنَ الخطابِ ، رضي الله عنه قال :

﴿ سمِعتُ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ :

﴿ إنما !الأعمالُ بالنِّياتِ

﴿ وإنما لكلِّ امرِىءٍ ما نوَى .

﴿ فمن كانت هجرتُهُ إلى دُنيا يُصيبُها

﴿ أو إلى امرأةٍ يَنكحُها .

﴿ فهجرتُهُ إلى ما هاجَرَ إليْه . ﴾

[أخرجه البخاري]

﴿ بين يدي الحديث ﴾

الإجماع على أنه في أعلى مراتب الصحة ، وأصل من أصول الدين .

وقد ذكره البخاري في ستة مواضع أخرى من صحيحه .

١ ـ « الأعمال بالنية ، ولكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه . ﴾

٢ ـ « الأعمال بالنية ، لكل امرىءٍ ما نوى ، فمن كانت هجرته . . . » الحديث بمثل ما قبله .

٣ ـ « الأعمال بالنية ، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه ، ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله . »

٤ ـ « العمل بالنية ، وإنما لامرىء ما نوى . »

٥ ـ « إنما الأعمال بالنية ، وإنما لامرىء ما نوى ،

فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه . »

٦ ـ « يا أيها الناس إنما الأعمال بالنية ، وإنما لامرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن هاجر لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه . »

لماذا اختار البخاري هذا الحديث في بداية صحيحه ؟ !

قالوا :

أراد بهذا اخلاص القصد ، وتصحيح النية .

وأشار به إلى أنه قصد بتأليفه « **الصحيح** »[1] وجه الله تعالى .

وقد حصل له ذلك ، حيث أعطى هذا الكتاب من الحظ ما لم يعط غيره من كتب الإسلام .

وقبله أهل المشرق والمغرب .

---

(١) أي صحيح البخاري .

وقالوا : من أراد أن يصنف كتاباً فليبدأ بهذا الحديث .

وقالوا : ويكفي الإنسان لدينه أربعة أحاديث .

« الأعمال بالنيات »

و « الحلال بيِّن والحرام بيِّن »

و « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »

و « لا يكون المؤمن مؤمنا ، حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه »

وقال القاضي عياض : ذكر الأئمة أن هذا الحديث ثلث الإسلام .

وقال الشافعي وغيره : يدخل فيه سبعون بابا من الفقه .

وقال النووي : لم يرد الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ انحصار أبوابه في هذا العدد ، فإنها أكثر من ذلك

وقد نظموا الأحاديث الأربعة :

عمدة الدين عندنا كلمات
أربع من كلام خير البرية

اتق الشبهات وازهد ودع ما
ليس يعنيك واعملن بنيَّة

فإن قيل ما وجه قولهم أن هذا الحديث ثلث الإسلام ؟

قلت : التضمنه النية ، والإسلام قول وفعل ونية .

ولما بدأ البخاري كتابه به لما ذكرنا من المعنى ، ختمه بحديث التسبيح لأن به تتعطر المجالس ، وهو كفارة لما قد يقع من المجالس .

واختلفوا في تفسير النية ، فقيل :

هو القصد إلى الفعل

وقيل : النية ههنا وجهة القلب

وقيل : النية القصد ، وهو عزيمة القلب .

وقيل : النية والإرادة والقصد والعزم بمعنى .

وتطلق الإرادة على الله تعالى ، ولا تطلق عليه غيرها .

« امرىء » الامرىء الرجل . . . ومؤنثه امرأة .

« هجرته » المراد بها هنا ترك الوطن والإنتقال إلى غيره .

وهي في الشرع : مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام ، خوف الفتنة ، وطلب إقامة الدين .

وفي الحقيقة : مفارقة ما يكرهه الله تعالى إلى ما يحبه .

ومن ذلك سمي الذين تركوا توطن مكة وتحولوا إلى المدينة من الصحابة بالمهاجرين لذلك .

« إلى دنيا » سميت الدنيا لدنوها من الزوال ، وجمعها دُنى ، والنسبة إليها دنياوي .

وقالوا في حقيقتها قولان : أحدهما ما على الأرض مع الهواء والجو .

والثاني : كل المخلوقات من الجواهر والأعراض الموجودة قبل الدار الآخرة .

« **يصيبها** » المراد بالإصابة : الحصول أو الوجدان . . . وقوله تعالى ﴿ **تجري بأمره رُخاء حيث أصاب** ﴾ أي : حيث أراد .

« **ينكحها** » أي : يتزوجها ، والباء في قوله « **بالنيات** » للمصاحبة كما في قوله تعالى ﴿ **اهبط بسلام** ﴾ والتقدير : إنما الأعمال تحصل بالنيات أو توجد بها .

« **إلى دنيا يصيبها** » أي : فمن كانت هجرته إلى تحصيل الدنيا فهجرته حاصلة لأجل الدنيا غير مفيدة له في الآخرة .

فإن قيل : ما فائدة قوله ﴿ **وإنما لكل امرىء ما نوى** ﴾ بعد قوله ﴿ **إنما الأعمال بالنيات** ﴾ ؟ !

أولا . . . فيه دلالة على أن الأعمال الخارجة عن العبادة قد تفيد التواب ، إذا نوى بها فاعلها القربة ، كالأكل والشرب إذا نوى بهما التقوية على الطاعة ، والنوم إذا قصد به ترويح البدن للعبادة ، والوطء إذا أراد به التعفف عن الفاحشة ، كما قال . . . عليه الصلاة والسلام « **في بضع أحدكم صدقة** » الحديث .

ثانيا . . . أن الأفعال التي ظاهرها القربة وموضوع فعلها للعبادة ، إذا فعلها المكلف عادة لم يترتب الثواب على مجرد الفعل ، وإن كان الفعل صحيحا ، حتى يقصد بها العبادة

ثالثا . . . هذه الجملة تأكيد للجملة الأولى ، فذكر الحكم بالأولى ، وأكده بالثانية ، تنبيها على شرف الإخلاص ، وتحذيرا من الرياء المانع من الإخلاص .

وإن قيل : **ما فائدة التنصيص على المرأة مع كونها داخلة في مسمى الدنيا ؟ !**

أولا . . . أنه للتنبيه على زيادة التحذير . . . فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام . . . كما في قوله تعالى ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى** ﴾ .

ثانيا . . . إنما خص المرأة بالذكر من بين سائر الأشياء في هذا الحديث ، لأن العرب كانت في الجاهلية لا تزوج المولى العربية ، ولا يزوجون بناتهم إلا من الأكفاء في النسب ، فلما جاء الإسلام سوى بين المسلمين في مناكحهم ، وصار كل واحد من المسلمين كفؤا لصاحبه . فهاجر كثير من الناس إلى المدينة ليتزوج

بها ، حتى سمي بعضهم « **مهاجر أم قيس** » .

ثالثا . . . أن هذا الحديث ورد على سبب ، وهو أنه لما أمر بالهجرة من مكة إلى المدينة تخلف جماعة عنها قدمهم الله تعالى بقوله ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم** ﴾ الآية . . . ولم يهاجر جماعة لفقد استطاعتهم ، فعذرهم واستثناهم بقوله ﴿ **إلا المستضعفين من الرجال** ﴾ الآية . . . وهاجر المخلصون إليه فمدحهم في غير ما موضع من كتابه . . . وكان في المهاجرين جماعة خالفت نيتهم نية المخلصين ، منهم من كانت نيته تزوج امرأة كانت بالمدينة من المهاجرين يقال لها « **أم قيس** » فسمي « **مهاجر أم قيس** » فكان قصده بالهجرة من مكة إلى المدينة نية التزوج بها ، لا لقصد فضيلة الهجرة ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام ذلك ، وبين مراتب الأعمال بالنيات ، فلهذا خص ذكر المرأة دون سائر ما ينوي به الهجرة من أفراد الأغراض الدنيوية لأجل تبيين السبب ، لأنها كانت أعظم أسباب فتنة الدنيا ، قال النبي عليه الصلاة والسلام ﴿ **ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء** ﴾

فإن قيل : لِم ذمّ على طلب الدنيا وهو أمر مباح ، والمباح لا ذم فيه ولا مدح ؟ !

وأجيب بأنه إنما ذمّ لكونه لم يخرج في الظاهر لطلب الدنيا ، وإنما خرج في صورة طالب فضيلة الهجرة ، فأبطن خلاف ما أظهر .

هذا وقد اشتهر بينهم أن سبب هذا الحديث قصة مهاجر أم قيس .

رواه الطبراني في المعجم الكبير باسناد رجاله ثقات ، عن أبي وائل ، عن إبن مسعود رضي الله عنه قال « كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس ، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر ، فهاجر فتزوجها ، فكنا نسميه (مهاجر أم قيس) .

فإن قيل : قد تعارضت الأحاديث في هذا الباب ، فروى البخاري ومسلم من حديث إبن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ **لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا** ﴾

وروى البخاري أيضا ، أن عبيد بن عمرو سأل

عائشة رضي الله عنها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسوله ، مخافة أن يفتن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام ، والمؤمن يعبد ربه حيث شاء ، ولكن جهاد ونية » .

فهذه الأحاديث دالة على إنقطاع الهجرة .

وروى أبو داود ، والنسائي ، من حديث معاوية رضي الله عنه قال ﴿ **سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها** ﴾ .

ووفق الخطابي بين هذه الأحاديث بأن الهجرة كانت في أول الإسلام فرضا ، ثم صارت بعد فتح مكة مندوبا إليها غير مفروضة ، قال : فالمنقطعة منها هي الفرض ، والباقية منها هي الندب

وقال غيره : المراد بالهجرة الباقية هي هجر السيئات ، وهو ما رواه أحمد في مسنده ، أن النبي . . . عليه الصلاة والسلام . . . قال « **الهجرة خصلتان ، احداهما تهجر السيئات ، والأخرى تهاجر إلى الله وإلى**

رسوله ، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت طبع الله على كل قلب بما فيه ، وكفى الناس العمل »

وروى أحمد أيضا قال « جاء رجل أعرابي فقال : يا رسول الله أين الهجرة إليك ، حيث كنت أم إلى أرض معلومة ، أم لقوم خاصة ، أم إذا مت انقطعت ؟

« قال : فسكت رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . ساعة ثم قال : أين السائل عن الهجرة ؟

« قال : ها أنا ذا يا رسول الله

« « قال : إذا أقمت الصلاة ، وآتيت الزكاة ، فأنت مهاجر ، وإن مت بالخضرمة .

« قال : يعني أرضا باليمامة . »

وفي رواية له :

« الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

« وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، ثم أنت مهاجر وإن مت بالخضرمة »

هذا واحتجت الأئمة الثلاثة بهذا الحديث في وجوب النية في الوضوء والغسل .

فقالوا : التقدير فيه ، صحة الأعمال بالنيات ، والألف واللام فيه لاستغراق الجنس ، فيدخل فيه جميع الأعمال من الصوم والصلاة والزكاة والحج والوضوء وغير ذلك مما يطلب فيه النية عملاً بالعموم .

وقال النووي : تقديره إنما الأعمال تحسب إذا كانت بنية ، ولا تحسب إذا كانت بلا نية .

وفيه دليل على أن الطهارة وسائر العبادات لا تصح إلا بنية .

ومقتضى حق العموم فيها يوجب أن لا يصح عمل من الأعمال الدينية ، أقوالها وأفعالها ، فرضها ونفلها ، قليلها وكثيرها ، إلا بنية .

وفيه أن النيات انما تكون مقبولة إذا كانت مقرونة بالإخلاص

وقيل : التقدير فيه : كمال الأعمال بالنيات أو ثوابها .

وقيل : التقدير : إنما الأعمال وجودها بالنية ، ويكون المراد بالأعمال الشرعية .

والحديث يوافق الكتاب في قوله عز وجل ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾ فهذا هو القصد والنية

ثم هل يشترط إستحضار النية أول كل عمل وإن قل وتكرر فعله مقارنا لأوله ؟

مذاهب . . . احدها : نعم .

وثانيها . . . يشترط ذلك في أوله ، ولا يشترط إذا تكرر ، بل يكفيه أن ينوي أول كل عمل ، ولا يشترط تكرارها فيما بعد ولا مقارنتها ولا الإتصال . . .

وثالثها . . . يشترط المقارنة دون الإتصال . . .

وماذا إذا أشرك في العبادة غيرها من أمر دنيوي أو رياء ؟ !

إختار الغزالي إعتبار الباعث على العمل ، فإن كان القصد الدنيوي هو الأغلب لم يكن له فيه أجر ، وإن كان القصد الديني هو الأغلب كان له الأجر بقدره ، وإن تساويا تساقطا .

واختار عز الدين بن عبد السلام أنه لا أجر فيه مطلقا ، سواء تساوي القصدان أو إختلفا .

وقال الطبري : إذا كان إبتداء العمل لله لم يضره ما عرض بعده في نفسه من عجب .

واختلفوا في قوله « **الأعمال** »

فقال بعضهم : هي مختصة بالجوارح وأخرجوا الأقوال .

والصحيح الذي عليه الجمهور أنه يتناول فعل الجوارح والقلوب والأقوال

فائدة . . .

قالوا : النية أبلغ من العمل

ولهذا المعنى تقبل النية بغير العمل .

فإذا نوى حسنة فإنه يجزي عليها ، ولو عمل حسنة بغير نية لم يجز بها .

فإن قيل فقد روى عن النبي . . . صلى الله عليه وسلم . . . قال :

﴿ من همَّ بحسنة ولم يعملها كتبت له واحدة

﴿ ومن عملها كتبت له عشرا ﴾

وروى أيضاً أنه قال :

﴿ نية المؤمن خير من عمله ﴾

فالنية في الحديث الأول دون العمل ، وفي الثاني فوق العمل وخير منه ؟ !

قلنا : أما الحديث الأول فلأن الهام بالحسنة إذا لم يعملها خالف العامل ، لأن الهام لم يعمل ، والعامل لم يعمل حتى همَّ ثم عمل .

وأما الثاني فلأن تخليد الله العبد في الجنة ليس لعمله ، وإنما هو لنيته ، لأنه لو كان لعمله لكان خلوده فيها بقدر مدة عمله أو أضعافه ، إلا أنه جازاه بنيته ، لأنه كان ناويا أن يطيع الله تعالى أبدا لو بقي أبدا ، فلما اخترمته منيته دون نيته جزاه الله عليها .

وكذا الكافر ، لأنه لو كان يجازي بعمله لم يستحق التخليد في النار إلا بقدر مدة كفره ، غير أنه نوى أن يقيم على كفره أبدا لو بقي ، فجزاه على نيته .

أو : المراد أن الجزاء الذي هو للنية خير من

الجزاء الذي هو للعمل ، لاستحالة دخول الرياء فيها .

أو أن النية خير من جملة الخيرات الواقعة بعمله ، لأن النية فعل القلب ، وفعل الأشرف أشرف .

أو أن المقصود من الطاعات تنوير القلب ، وتنوير القلب بها أكثر لأنها صفته .

أو أن نية المؤمن خير من عمل الكافر .

فإن قلت : هذا حكمه في الحسنة ، فما حُكمه في السيئة ؟

والحق أن السيئة أيضاً يعاقب عليها بمجرد النية ، لكن على النية لا على الفعل ، حتى لو عزم أحد على ترك صلاة بعد عشرين سنة يأثم في الحال ، لأن العزم من أحكام الإيمان ، ويعاقب على العزم على ترك الصلاة .

فالفرق بين الحسنة والسيئة ، أن بنية الحسنة يثاب الناوي على الحسنة ، وبنية السيئة لا يعاقب عليها بل على نيتها .

وقد دل ما رواه أبو يعلى في مسنده ، عن النبي . . . صلى الله عليه وسلم . . . أنه قال :

﴿ يقول الله تعالى للحفظة يوم القيامة : اكتبوا لعبدي كذا وكذا من الأجر .

﴿ فيقولون : ربنا لم نحفظ ذلك عنه ، ولا هو في صحفنا ؟

﴿ فيقول : إنه نواه . ﴾

على كون النية خيرا من العمل .

﴿ إشعاعات الحديث ﴾

كان . . . هذا ما استخلصته لك من بدائع روائع الأقدمين . . . في تفصيل عجائب الحديث . . .

والآن . . . اقدم لك شيئاً من اشعاعات الحديث . . . بما يناسب مفاهيم اليوم . . . ومجتمع وأذواق اليوم . . .

ولعلك قد انشرحت صدرا بتلك البحار الزاخرة . . . التي يسبح فيها أئمتنا العظماء الفقهاء العلماء . . .

يقول . . . صلى الله عليه وسلم . . . **إنما الأعمال بالنيات** . . .

فما مكنون ذلك القول الكريم ؟ !

إنما حقيقة الأعمال كلها . . . بالنيات . . .

فما هي النية أولا ؟ !

النية هي الإرادة . . .

هل أنت تريد الله بعملك . . . أم تريد شيئاً سواه ؟ !

فإن أردت الله . . . فتلك نية النور . . . وإن أردت شيئاً سواه فتلك نية الظلمة . . .

ولكن كيف يكون هذا ؟ !

النية هي الحقيقة المكنونة في قلبك التي لا يعلمها إلا الله . . .

أيما عمل عملته . . . حتما تسبقه إرادة ما . . . نية ما . . .

فلا يتصور عمل . . . بلا إرادة تسبقه . . . بلا نية سبقته . . .

أنا أريد . . . أنا أعمل . . .

وهذه الإرادة . . . هذه النية . . . هي إتجاه القلب . . .

فإن كان القلب متجها **إلى الله** . . . كان العمل عملا صالحا . . . عند الله . . .

وإن كان القلب متجها إلى ما سواه . . . كان العمل عملا سيئاً . . . عند الله . . .

هذا هو المفتاح الرهيب العجيب . . . الذي يفتح لك بحار تلك القضية الكبرى . . . على أوسع ما يكون الفتح !!!

فحين يقول صلى الله عليه وسلم : **إنما الأعمال بالنيات** . . .

أو : **إنما الأعمال بالنية** . . .

أو : **الأعمال بالنية** . . .

فكأنما يريد أن يقول للناس جميعا . . . **أن نوع إتجاه قلوبكم هو الذي يجعل العمل صالحا أو سيئا** . . .

ولا يهم بعد ذلك . . . حجم العمل . . . أو ظروفه . . . أو جنس الإنسان الصادر عنه . . . فيما يرى الناس . . .

النيـة . . . الإرادة . . . شيء مكنـون في القلوب . . .

هو سبحانه وحده . . . الذي يعلم : هل كنت تريده سبحانه بعملك . . . أو تريد شيئا سواه . . .

فإن كنت تريده هو سبحانه . . . فالعمل عمل صالح . . . ولك عنده ما تشاء . . . ويزيدك من فضله .

وإن كنت تريد شيئا سواه . . . فالعمل عمل سيء . . . وليس لك عنده شيء !!!

حنيفا . . . ؟ !

- ٢ -

﴿ وقوْلُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم .

﴿ أحبُّ الدينِ إلى اللَّهِ .

﴿ الحنيفيَّةُ السَّمحَةُ ﴾ .

[أخرجه البخاري]

﴿ بين يدي الحديث ﴾

« الحنيفية » المراد الملة الحنيفية .

أي : أحب الأديان إلى الله الحنيفية ، والمراد

بالأديان الشرائع الماضية ، قبل أن تبدل وتنسخ .

أو : أحب الدين المعهود ، وهو دين الإسلام .

أو : أحب خصال الدين ، وخصال الدين كلها محبوبة ، ولكن ما كان منها سمحا سهلا فهو أحب إلى الله تعالى

ويدل عليه ما رواه أحمد في مسنده ، من حديث إعرابي ، أنه سمع رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . يقول ﴿ خير دينكم أيسره ﴾ .

والمراد بالملة الحنيفية الملة الإبراهيمية عليه الصلاة والسلام ، مقتبسا من قوله تعالى ﴿ ملة إبراهيم حنيفا ﴾ .

والحنيف عند العرب من كان على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

والحنيف المائل عن الباطل إلى الحق ، وسمي إبراهيم حنيفا لأنه مال عن عبادة الأوثان .

« السمحة » صفة الحنيفية ، ومعناها السهلة .

والمسامحة هي المساهلة ، والملة السمحة التي

لا حرج فيها ولا تضييق فيها على الناس ، وهي ملة الإسلام .

- ٣ -

﴿ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ .

﴿ إن الدينَ يُسرٌ .

﴿ ولَن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلَبَهُ .

﴿ فسدِّدُوا ، وقارِبُوا ، وأبشِرُوا .

﴿ واستعينوا بالغَدْوةِ والرَّوْحةِ ، وشيءٍ مِن الدُّلْجةِ . ﴾

[أخرجه البخاري]

﴿ بين يدي الحديث ﴾

« **لن يشاد الدين** » من المشادة وهي المغالبة .

والمعنى : لا يتعمق أحدكم في الدين فيترك الرفق إلا غلب الدين عليه ، وعجز ذلك المتعمق ، وانقطع عن عمله كله أو بعضه .

« **فسددوا** » من التسديد وهو التوفيق للصواب ،

وهو السداد والقصد من القول والعمل ، ورجل مسدد إذا كان يعمل بالصواب والقصد .

ويقال معنى « سددوا » الزموا السداد أي الصواب ، من غير تفريط ولا إفراط .

« وقاربوا » لا تبلغوا النهاية ، بل تقربوا منها .

يقال رجل مقارب : وسط بين الطرفين

وقال التيمي : قاربوا ، إما أن يكون معناه : قاربوا في العبادة ولا تباعدوا فيها ، فانكم إن باعدتم في ذلك لم تبلغوه .

ويقال معناه : إن لم تستطيعوا الأخذ بالكل فاعملوا ما يقرب منه .

وشيء مقارب ، أي : وسط بين الجيد والرديء .

« وأبشروا » أي أبشروا بالثواب على العمل وإن قل

« واستعينوا » من الإستعانة وهو طلب العون .

« بالغدوة » وهو سير أول النهار

« والروحة » وهو سير آخر النهار

« **وشيء من الدلجة** » الدلجة هـو سير الليـل كله . . . فأشار بقوله « **وشيء** » إلى جزء يسير منه .

والمعنى استعينوا على الأعمال بهـذه الأوقات المنشطة للعمل .

هذا وفي قوله ﴿ **إن الدين يسر** ﴾ رد على منكر يُسر هذا الدين .

وفي قوله ﴿ **فسددوا** ﴾ أي في الأمور .

وكذلك في قوله ﴿ **وقاربوا** ﴾ أي في العبادة .

وكذلك في قوله ﴿ **وأبشروا** ﴾ أي بالثواب على العمل ، وأبهم المبشر به للتنبيه على التعظيم والتفخيم .

وفيه استعارة الغدوة والروحة وشيء من الدلجة لأوقات النشاط وفراغ القلب للطاعة .

وكأنه عليه السلام خاطب مسافرا يقطع طريقه إلى مقصده فنبهه على أوقات نشاطه التي ترك فيها عمله ، لأن هذه الأوقات أفضل أوقات المسافر ، والمسافر إذا سار الليل والنهار جميعا عجز وانقطع ، وإذا تحرى السير في هذه الأوقات المنشطة أمكنته المداومة من غيـر مشقة .

وقال الخطابي : معناه الأمر بالإقتصاد في العبادة ، أي لا تستوعبوا الأيام ولا الليالي كلها ، بل اخلطوا طرف الليل بطرف النهار ، واجمعوا أنفسكم فيما بينهما لئلا ينقطع بكم .

ومن فوائده . . . الحض على الرفق في العمل لقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ **اكلفوا من العمل ما تطيقون** ﴾ .

وقال الخطابي : هذا أمر بالإقتصاد وترك الحمل على النفس ، لأن الله تعالى إنما أوجب عليهم وظائف من الطاعات ، في وقت دون وقت تيسيرا ورحمة .

ومنها التنبيه على أوقات النشاط ، لأن الغدو والرواح والادلاج أفضل أوقات المسافر وأوقات نشاطه .

بل على الحقيقة الدنيا دار نقلة ، وطريق إلى الآخرة ، فنبه أمته أن يغتنموا أوقات فرصتهم وفراغهم .

﴿ إشعاعات الحديث ﴾

ها هنا روائع بدائع . . . جوامع موانع !!!

إذا سمعته عليه الصلاة والسلام يقول ﴿ **أحب**

الدين إلى الله الحنيفية السمحة ﴾ تلألأت فورا حقائق عليا . . .

الأولى . . . أحب الدين إلى الله . . . أي : أحسن أساليب التوجه إليه تعالى . . . وأرقاها . . . وأعلاها . . .

أي : خير أسلوب من أساليب التدين .

أي : أرقى أسلوب من أساليب توجه المخلوق إلى الخالق . . . أو العبد إلى ربه . . .

« **الحنيفية** » ما هي هذه الحنيفية التي يكثر ذكرها في كتاب الله تعالى . . . والتي هي ملة إبراهيم . . . والملة التي أمر الله تعالى رسوله . . . صلى الله عليه وسلم . . . باتباعها . . . فكان أمرا إلى المسلمين جميعا إلى يوم القيامة ، باعتبارهم أتباع رسوله عليه الصلاة والسلام ؟ !

قالوا : هي الميل عن الباطل إلى الحق !!!

ولكن ما حقيقتها . . . ما سرها . . . كيف السبيل إليها ؟ !

كيف تتعرف إلى الحنيفية . . . فتتعرف بالتبعية إلى أرقى إسلوب في التدين يحبه الله تعالى ؟ !

هي ؟ . . . هي ؟ . . . الإتجاه المباشر إليه تعالى !!!

هذا هو التحديد الذي أقدمه إليك . . . مستخلصا من مئات النصوص . . .

هذه هي الدُرَة . . . المستخرجة من بحار أنوار التوحيد . . .

الحنيفية ؟ !!!

هي توجه القلب إلى الله مباشرة . . . غير ملتفت إلى ما سواه . . .

ومتى توجهت إليه تعالى على هذه الملة . . . أي على هذا الإسلوب . . . فقد توجهت إليه تعالى بأحب ما يحب من دينه . . . أي بأرقى إسلوب من أساليب التوجه إليه . . .

« السمحة » السهلة . . . الحنيفية السهلة . . .

ما معنى هذا ؟ !!!

معناه عميق عميق عميق . . .

وبحر سحيق سحيق سحيق . . .

ولغز دقيق دقيق دقيق . . .

تدري ما معناها ؟ !!

معناها أن الحنيفية هي أسهل إسلوب من أساليب التوجه إليه تعالى . . .

لماذا ؟ !!

لأنهـا شيء مستطاع . . . لكـل كـائن في الوجود . . .

وكذلك لهذا الكائن المسمى بالإنسان . . .

أسهل شيء . . . أسهل إسلوب يعبد به ربه . . . هو أن يتجه إليه مباشرة . . .

أن الأمر بسيط جدا . . .

إنها مجرد أن يتجه قلبك إليه تعالى !!!

تدري كيف يحدث هذا ؟ !

انظر إلى جهاز الراديو . . . افتح مفتاحه . . . تسمع فورا ما يذاع !!!

كذلك قلبك . . . بل هو أسرع وأسرع . . .

افتح قلبك . . . أي اتجه بقلبك إليه سبحانه مباشرة . . . تجده سبحانه فورا . . .

فلا حجب . . . ولا كهنوت . . . ولا وساطات . . .

وإنما . . . إتجه إليه تعالى . . . رأسا !!!

هذه هي الحنيفية . . . التي يرددها ملايين من الببغاوات البشرية . . . ولا يفقهون لها حقيقة !!!

وهي لهذا « **السمحة** » السهلة . . . أسهل إسلوب . . . وأيسره . . . لكل كائن . . . وخاصة الإنسان !!!

فاستمسك بهذا المفتاح الخطير . . .

فإنه يكشف لك حقيقة . . . من أعلى وأغلى . . . حقائق هذا الدين !!!

ونخرج من بحر من بحار الحقيقة . . . اسمه بحر

« **الحنيفية** » . . . لندخل إلى بحر أخطر وأخطر . . . اسمه بحر « **إن الدين يُسر** » . . .

فما حقيقة ذلك البحر الرهيب ؟ !

حقيقته أن أرقى إنسان . . . وارقى رسول . . . يخطط لك أنجح الأساليب التي تكفل لك النجاح التام . . . في معركتك ضد نوازع الهبوط . . . وأنت نحاول أن ترقى إلى ربك تعالى !!!

الحقيقة الأولى . . . « **إن الدين يُسر** » جميع الأديان التي أنزلها الله تعالى يسر . . . وخاصة آخرها المسمى بالإسلام . . . هو أيسرها وأسهلها . . . لأنه جاء لعموم الناس إلى يوم القيامة . . . فكان حتما أن يكون أسهلها . . . ليستطيع جميع سكان العالم أن ينتظموا عليه إن شاءوا إنتظاما !!!

لماذا كان الدين يسر ؟ !

لأنه في حقيقته عبارة عن توجه القلب رأسا إلى ربه . . .

حقيقة بسيطة جدا . . . ولكن أكثر الناس لا يعلمون !!

« ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » إنها معركة . . . الإنسان يحاول الترقي . . . ونوازع الهبوط تشده إلى أسفل . . . وطاقة الإنسان محدودة . . . فإن هو استفرغها مرة واحدة . . . عجز فجأة عن مواصلة الترقي . . . ولكن ساعة وساعة . . . ساعة نزاع . . . وساعة هدنة . . . وهكذا حتى يصل إلى هدفه . . .

إن الذين يشتعلون فجأة . . . ينطفئون فجأة . . .

ولكن بالتدريج . . . خطوة فخطوة . . .

ومع المداومة . . . تقطع طريقك . . .

« فسددوا » فحددوا هدفكم من الرحلة . . . اجعلوا الله غايتكم . . . ثم سيروا إليه . . .

لأن وضوح الهدف . . . هو العنصر الرئيسي في المعركة . . .

« وقاربوا » هذه خطيرة جدا . . . فإن كثيرا من الناس يظنون أن مسالك الأنبياء شيء يستطاع لهم تحقيقه . . . فتنبهر أنفاسهم وما حققوا شيئا مما ينزعون إليه . . .

ولكن الأنبياء مُثُل عليا . . . والمثل الأعلى يقترب منه . . . ولا يستطاع الوصول إليه . . .

وهذا هو معنى « وقاربوا » أي حاولوا أن تقتربوا من مقامات الأنبياء . . . ولكن اعلموا أن طاقاتكم دون طاقاتهم . . .

وكثير من المتدينين يصابون بالتخلخل العبادي من هذا السبيل !!!

يظنون أن في إستطاعتهم أن يفعلوا مثل ما فعل رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . سواء بسواء !!!

وكذبوا . . . وحَمَّلوا أنفسهم ما لا يطيقون . . . فتخلخلت بهم قلوبهم . . . فاهتزوا إهتزازا عنيفا !!!

إن الأنبياء كواكب يتطلع إليها . . . ويهتدي بها السائرون في ظلمات الحياة . . .

أما أن تتوهم أن تكون في مثل مقاماتهم العُلَى . . . فهذا هوم . . . يورثك التخلخل والإهتزاز . . .

ما أزوع ما قال رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم « **وقاربوا** » !!!

« **وأبشروا** » كونوا دائما على أمل عظيم في الله . . . وانه رغم عجزكم عن الوصول . . . فإنه سوف يعطيكم على ما بذلتموه عطاءً عظيما !!!

ثم يتلألأ رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . ويلقي نورا عظيما . . . واشعاعا باهرا . . . للمسافرين في ظلمات الحياة . . . إلى ربهم فيقول : ﴿ **واستعينوا بالغدوة والروحة** ﴾ واستعينوا في رحلتكم إلى الله . . . باختيار خير أوقات حياتكم للسفر إلى ربكم . . . كما يختار المسافر وقت الصباح الباكر . . . ووقت المساء « **الروحة** » في سفره ، حيث يكون السفر أسهل وأمتع . . .

وكما يختار المسافرون وقت الليلْ . . . لأن السفر فيه أيسر وأسهل . . .

« **وشيء من الدلجة** » وبعض من الليل يسافرون فيه . . . كما يسافر المسافر في بعض الليل . . . ويستريح سائر الليل . . .

أي . . . سيروا إلى ربكم هونا هونا . . . ساعة فيها تتعبدون . . . وساعة فيها تستريحـون . . . تارة بالنهار . . . وتارة بالليل . . .

فإنها رحلة . . . ولكل رحلة تخطيطها . . .

وخير تخطيط أن تعطي المسافـر فرصـة يسير فيها . . . وأخرى يستريح فيها . . .

فلا سفر مطلقا . . . ولا راحة مطلقة . . .

وهذا هو المسافر الناجح . . . الذي يصل إلى هدفه . . .

فانظر . . . ماذا خطَّط لك . . . رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم ؟ !

ثم تـأمل . . . جمـال الإشعـاع . . . وجـلال الإبداع . . . وكم فيه من إمتاع ؟ !!

القلب . . . ؟ !

- ٤ - .

« عن النعمان بن بشير يقول :

﴿ سمعتُ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ :

﴿ الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّن .

﴿ وبينهما مُشَبَّهاتٌ

﴿ لا يعلمها كثيرٌ منَ الناسِ

﴿ فمن اتقَى المشبَّهات استبرأ لدينه وعرضه .

﴿ ومَن وقَعَ في الشُّبُهات ، كراعي يرعى حولَ الحمى ، يُوشكُ أن يُواقعَهُ .

﴿ ألا وإنَّ لكلِّ ملك حمىً .

﴿ ألا إن حمَى الله في أرضه محارمُهُ

﴿ ألا وإنَّ في الجسَد مُضغةً ، إذا صلَحتْ صَلَحَ الجسَدُ كلُّهُ . وإذا فسدَتْ فسَدَ الجسدُ كلُّهُ .

﴿ ألا وهيَ القلبُ . ﴾

[أخرجه البخاري]

﴿ بين يدي الحديث ﴾

« **الحلال** » هو ضد الحرام ، وأحل الله الشيء جعله حلالا .

« **بيِّن** » ظاهر .

« **والحرام** » ضد الحلال ، والتحريم ضد التحليل ، والحرام : الممنوع .

« **مشتبهات** » من اشتبه الأمر ، إذا لم يتضح ، أي لمشكلات من الأمور ، فيشبه مرة هذا ومرة هذا .

« **لعِرضِه** » العرض موضع المدح والذم من الإنسان . أو الأمور التي يرتفع بها أو يسقط بذكرها ومن جهتها يحمد أو يذم .

أو . . . عِرض الرجل : نفسه . . . أي استبرأ لنفسه .

« **الحمى** » هو موضع حظره الإمام لنفسه ومنع الغير منه ، وهذا شيء حمى ، أي محظور[1] .

« **يوشك** » يقرب

« **أن يواقعه** » يقع فيه

« **محارمه** » معاصيه ، التي حرمها كالقتل والسرقة ، وهو جمع محرم وهو الحرام .

« **مضغة** » قطعة من اللحم

« **القلب** » الفؤاد ، وقد يعبر به عن العقل

وسمي به لتقلبه في الأمور ، أو لأنه خالص ما في البدن ، إذ خالص كل شيء قلبه .

وسمي به هذا العضو الشريف لسرعة الخواطر فيه وترددها عليه .

وكان مما يدعو به النبي . . . صلى الله عليه وسلم « **يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك** »

---

(١) أي منطقة ممنوعة ، كما نكتب اليوم على بعض المناطق ممنوع الدخول .

وأجمع العلماء على عظم موقع هذا الحديث ، وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام .

قالت جماعة : **هو ثلث الإسلام** . وإن الإسلام يدور عليه ، وعلى حديث « **الأعمال بالنيات** » وحديث « **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** » .

وقال أبو داود : **يدور على أربعة أحاديث ، هذه الثلاثة ، وحديث « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »**

قالوا : سبب عظم موقعه أنه عليه السلام نبه فيه على صلاح المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغيرها .

وإنه ينبغي أن يكون حلالا ، وارشد إلى معرفة الحلال .

وإنه ينبغي ترك المشتبهات ، فإنه سبب لحماية دينه وعِرضه .

وحذر من مواقعة الشبهات ، واوضح ذلك بضرب المثل بالحِمى .

ثم بين أهم الأمور ، وهو مراعاة القلب .

وقال إبن العربي : يمكن أن ينتزع من هذا الحديث وحده جميع الأحكام .

وقال القرطبى : لأنه اشتمل على التفصيل بين الحلال وغيره ، وعلى تعلق جميع الأعمال بالقلب ، فمن هنا يمكن أن يرد إليه جميع الأحكام .

« الحلال بيِّن » بمعنى ظاهر ، بالنظر إلى ما دل على الحل بلا شبهة ، أو على الحرام بلا شبهة .

« وبينهما مشتبهات » أي الوسائط التي يكتنفها دليلان من الطرفين ، بحيث يقع الإشتباه ، ويعسر ترجيح دليل احد الطرفين ، إلا عند قليل من العلماء .

وقال النووي : معناه أن الأشياء ثلاثة أقسام ، حلال واضح لا يخفى حله كأكل الخبز والفواكه وكالكلام والمشي وغير ذلك .

وحرام بيِّن كالخمر والدم والزنا والكذب وأشباه ذلك

وأما المشبهات فمعناه إنها ليست بواضحة الحل والحرمة ، ولهذا لا يعرفها كثير من الناس ، وأما العلماء

فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب وغيره .

فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة ، ولم يكن نص ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي ، فإذا الحقه به صار حلالا أو حراما ، وقد يكون دليله غير خال عن الإجتهاد ، فيكون الورع تركه ، وما لم يظهر للمجتهد فيه شيء وهو مشتبه ، فهل يؤخذ بالحل أو الحرمة أو يتوقف فيه ؟ . . .

ثلاثة مذاهب حكاها القاضي عياض عن أصحاب الأصول .

والظاهر أنها مخرجة على الخلاف المعروف في حكم الأشياء قبل ورود الشرع .

وفيه أربعة مذاهب .

أحدها ـ وهو الأصح ـ أنه لا يحكم بتحليل ولا تحريم ولا إباحة ولا غيرها ، لأن التكليف عند أهل الحق لا يثبت إلا بالشرع .

والثاني أن الحكم الحل أو الإباحة .

والثالث المنع

والرابع الوقف

وقال القرطبي : لا شك أن ثم أمورا جلية التحريم ، وأمورا جلية التحليل ، وأمورا مترددة بين الحل والحرمة ، وهو الذي تتعارض فيه الأدلة فهي المشتبهات .

واختلف في حكمها . . .

فقيل حرام . . . لأنها توقع في الحرام .

وقيل مكروهة . والورع تركها .

وقيل لا يقال فيها واحد منهما .

والصواب الثاني لأن الشرع أخرجها من الحرام ، فهي مرتاب فيها ، وقال عليه السلام « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** » فهذا هو الورع .

وقال بعض الناس : إنها حلال يتورع عنها .

قال القرطبي : ليست هذه عبارة صحيحة لأن أقل مراتب الحلال أن يستوي فعله وتركه فيكون مباحا ، وما كان كذلك لا يتصور فيه الورع ، فإنه أن ترجح أحد طرفيه على الآخر خرج عن أن يكون مباحا . . . وحينئذ أما أن يكون تركه راجحا على فعله وهو المكروه . . . أو

فعله راجحا على تركه وهو المندوب . . . فأما مثل ما تقدم مما يكون دليله غير خال عن الإحتمال البين كجلد الميتة بعد الدباغ فإنه غير ظاهر على المشهور من مذهب مالك فلا يستعمل في شيء من المائعات لأنها تنجس لا الماء وحده فإنه عنده يدفع النجاسة ما لم يتغير ، هذا هو الذي ترجح عنده ، لكنه كان يتقي الماء في خاصة نفسه .

وحكى عن أبي حنيفة وسفيان الثوري . . . رضي الله عنهما . . . انهما قالا : **لأن أخر من السماء أهون عليّ من أن افتي بتحريم قليل النبيذ ، وما شربته قط ، ولا أشربه .**

فعملوا بالترجيح في الفتيا ، وتورعوا عنه في أنفسهم .

وقال بعض المحققين : من حكم الحكيم أن يوسع على المسلمين في الأحكام ، ويضيق على نفسه - يعني به هذا المعنى -

ومنشأ هذا الورع الإلتفات إلى امكان اعتبار الشرع ذلك المرجوح ، وهذا الإلتفات ينشأ من القول بأن

المصيب واحد ـ وهو مشهور مذهب مالك ـ

فيحصل لنا مما تقدم ذكره أن المشتبهات المذكورة في الحديث التي ينبغي اجتنابها فيه اقوال .

أحدها أنه الذي تعارضت فيه الأدلة فاشتبهت ، فمثل هذا يجب فيه الوقف إلى الترجيح ، لأن الإقدام على أحد الأمرين ، من غير رجحان الحكم بغير دليل محرم .

والثاني المراد به المكروهات وهو قول الخطابي وغيره ، ويدخل فيه مواضع اختلاف العلماء .

والثالث أنه المباح .

وقال بعضهم هي حلال يتورع عنها « **لا يعلمها كثير من الناس** » أي لا يعلم المشتبهات كثير من الناس ، اراد لا يعلم حكمها ، وجاء ذلك مفسرا في رواية الترمذي وهي « **لا يدري كثير من الناس أمن الحلال هي أم من الحرام** » .

« **استبرأ** » طلب البراءة في دينه من النقص ، وعرضه من الطعن فيه .

وقال الخطابي : كل شيء أشبه الحلال من وجه والحرام من وجه فهو شبهة .

وقيل : إن من أكثر وقوع الشبهات اظلم قلبه عليه لفقدان نور العلم والورع ، فيقع في الحرام ولا يشعر به .

« كراع يرعى حول الحمى » هذا تشبيه حال من يدخل في الشبهات بحال الراعي الذي يرعى حول المكان المحظور بحيث أنه لا يأمن الوقوع فيه .

ووجه الشبه حصول العقاب لعدم الإحتراز في ذلك ، فكما أن الراعي إذا جره رعيه حول الحمى ، إلى وقوعه في الحمى ، استحق العقاب بسبب ذلك ، فكذلك من أكثر من الشبهات وتعرض لمقدماتها وقع في الحرام فاستحق العقاب .

شبه بالمحسوس الذي لا يخفى حاله ، شبه المكلف بالراعي ، والنفس البهيمية بالأنعام ، والمشتبهات بما حول الحمى ، والمحارم بالحمى ، وتناول المشتبهات بالرتع حول الحمى .

« **ألا وإن لكل ملك حمى** » هذا مثل ضربه النبي عليه الصلاة والسلام ، وذلك أن ملوك العرب كانت تحمي مراعي لمواشيها وتتوعد على من يقربها ، والخائف من عقوبة السلطان يبعد بما شيته خوف الوقوع ، وغير الخائف يقترب منها ويرعى في جوانبها ، فلا يأمن من أن يقع فيها من غير اختياره فيعاقب على ذلك .

ولله تعالى أيضا حمى ، وهو المعاصي ، فمن ارتكب شيئا منها استحق العقوبة ، ومن قاربه بالدخول في الشبهات يوشك أن يقع فيها .

« **مضغة** » اطلقها على القلب إرادة تصغير القلب بالنسبة إلى باقي الجسد ، مع أن صلاح الجسد وفساده تابعان له

أو : لما كان هو سلطان البدن ، لما صلح صلح الأعضاء الأخر ، التي هي كالرعية .

﴿ اشعاعات الحديث ﴾

لماذا اعتبروا هذا الحديث ثلث الإسلام ؟ !

ولماذا قال إبن العربي : يمكن أن ينتزع من هذا

الحديث وحده جميع الأحكام ؟ !

أجاب القرطبي على هذا كله حين قال : لانه اشتمل على التفصيل بين الحلال وغيره ، وعلى تعلق جميع الأعمال بالقلب ، فمن هنا يمكن أن يرد إليه جميع الأحكام !!!

ولكن لماذا بدع هذا الحديث ذلك المقام العظيم ؟ !

يتلالى اشعاع امام عيني قلبي . . . أحب أن أبثه في القلوب !!!

إنه أثبت حقيقة عظمى . . . تتفجر منها حقائق الإنسان كلها إنفجارا !!!

هي ماعبرً . . . صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ **ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب** ﴾.!!!

هذا هو المفتاح الرهيب العجيب القريب . . . لذلك البحر العميق . . .

« **ألا** » تنبيه لجميع الناس . . . اعلموا تلك الحقيقة الكبرى . . .

« **وإن في الجسد** » في كل جسم بشري . . .

« **مضغة** » عضو صغير الحجم . . . خطير الدور في تركيب الجسم كله . . . عضو صغير ليس بأكبر أعضاء الجسد .

« **إذا صلحت** » إذا قامت بدورها على ما يرام . . .

« **صلح الجسد كله** » صلحت جميع أعضاء الجسم . . . لأن القلب هو المضخة الماصة الكابسة . . . الذي يمتص الدم ثم يدفعه إلى جميع الشرايين . . . لتأخذ جميع أعضاء الجسم منه ما يلزمها . . . فأي خلل أي فساد فيه . . . يؤدى إلى اختلال الجسد كله . . .

« **وإذا فسدت فسد الجسد كله** » اختلت جميع أعضاء الجسم . . .

« **ألا وهي القلب** » هي هذا العضو الصنوبري القائم في الصدور . . .

هذا هو ظاهر الحديث . . .

فما مكنون باطنه ؟ !

أن هذا القلب الظاهر . . . الذي به حياة جميع الجسد . . .

هو مسكن القلب الباطن . . . الذي هو قلب الجسم الأثيري . . .

والقلب الأثيري . . . هو الذي به قوام الجسم الأثيري كله . . .

وها هنا مفتاح خطير جدا جدا . . .

« **إذا صلحت صلح الجسد كله** » إذا صلح القلب الأثيري صلح الجسم الأثيري كله .

« **وإذا فسدت فسد الجسد كله** » وإذا فسد القلب الأثيري فسد الجسم الأثيري كله . . .

لماذا وكيف يحدث هذا ؟ !

إذا اتجه القلب الأثيري إلى الله . . . وهو ما نسميه بالإيمان . . . خرج من الظلمات إلى النور فورا . . .

هنالك يضيء جميع الجسم الأثيري . . . ومتى

اضاءت أعضاء الجسم الأثيري . . . فقد صلحت . . . فقد صارت حيّة ﴿ **أفمن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها** ﴾ ؟ !

وإذا اتجه القلب الأثيري إلى غير الله . . . وهو ما نسميه بالكفر . . . خرج من النور إلى الظلمات فورا . . . ومتى أظلم القلب الأثيري . . . أظلمت جميع الأعضاء الأثيرية . . . أعضاء الجسم الأثيري . . . أي ماتت . . . « **أفمن كان ميتا** » . . .

إذا أراد القلب الأثيري . . . الروحي . . . أراد الله . . . إذا اتجه إلى ربه . . . أضاء فورا . . .

ومتى أضاء . . . أصبح صالحا لا لتقاط أعلى الموجات . . . الموجات الإلهية العليا . . .

وإذا اتجه إلى غير الله . . . أظلم فورا . . .

ومتى أظلم . . . أصبح صالحا لا لتقاط الموجات السفلية . . . موجات الظلمات . . . موجات الشياطين من الإنس والجن . . . وانغلق أوتوماتيكيا عن الموجات النورية العليا . . .

هذا هو المفتاح الخطير . . .

ومتى تلألأت لنا أنواره . . . انفتحت لنا أنهار حقائق الحديث فتحا عجبا !!!

« **الحلال بين والحرام بين** » ولكن لا يدركه إلا أهل النور . . . من قلوبهم في مقامات النور . . .

النور بيِّن والظلام بيِّن . . .
النور ظاهر . . . والظلمة ظاهرة . . .

لأن الحلال يورث النور . . . والحرام يورث في القلب ظلمة . . .

« **وبينهما مشبَّهات** » وبين النور والظلمة أمور لها وجه من النور . . . ووجه من الظلمة . . .

« **لا يعلمها كثير من الناس** » لا يعلمها أهل الظلمة . . . وإنما يعلمها القلة القليلة . . . أهل النور . . . الذين في قلوبهم إضاءة . . . تكشف لهم أن هذه الأمور تهبط بمستواهم الروحي الرفيع . . . فهم ينأون عنها . . . مخافة التدهور والإقتراب من الظلمات . . .

« **فمن اتقى** » فمن إبتعد

« **المشبهات** » الأمور التي تحتمل هذا وذاك .

« **استبرأ لدينه وعِرضه** » فقد خلص قلبه من كل ظلمة . . . خلص باطنه من الظلام . . . وخُلص ظاهره من الآثام . . . ﴿ **اتقوا ظاهر الإثم وباطنه** ﴾ . . . فالظاهر معاصى الجسد . . . والباطن معاصى القلوب . . .

« **ومن وقع في الشبهات** » ومن وقع في الأمور التي لها وجه منير ووجه مظلم . . .

« **كراعي يرعى حول الحمى** » يرعى حول المناطق المحظور الرعي فيها . . .

« **ألا وإن لكل ملك حمى** » لكل ملك مناطق . . . حدود محظور الإقتراب منها . . . أو دخولها إلا بإذنه

« **ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه** » ألا وإن المنطقة التي حظر الله دخولها في أرضه . . . هي المعاصي !!!

ما مكنون هذا الناموس الرائع البديع ؟ !

مكنونه . . . ابتعدوا ما استطعتم عن الظلمات . . . عن المعاصى . . .

ولكي تبتعدوا عنها . . . إبتعدوا عما يقربكم من خط الظلمات . . .

فلربما إذا أوغلتم في الدنيا . . . وقعتم في المحارم وانتم لا تشعرون . . .

لأن النفس نزاعة إلى الشهوات . . . فإذا أرخيت لها العنان . . . نزعت بك إلى المحظورات . . . وأنت لا تدرى . . .

فمن شاء مفتاح ذلك كله فها هو المفتاح . . .

﴿ ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب ﴾ . . .

المفتاح هو القلب . . . القلب الروحي . . . القلب الذي هو وراء ذلك القلب المادي . . . القلب الذي هو موضع نظر الرب . . .

ولكن كيف يكون هذا القلب هو الطريق إما إلى الصلاح كله ، وإما إلى الفساد كله ؟ !!

بالتوجه . . . بالنية . . . بالوجهة « **ولكل وجهة هو**

موليها » هو متوجه إليها . . .

إذا اتجهت قلوبكم إلينا . . . فقد صلحت . . . فصلح لها كل شيء . . .

وإذا اتجهت إلى ما سوانا . . . فقد فسدت . . . ففسد منها كل شيء . . .

إذا اتجه قلبك إلينا أيها الإنسان . . . أخرجناك من الظلمات إلى النور . . . هنالك تجد الخير كله . . . ويكن عملك كله عندنا صالحا . . .

وإذا اتجه قلبك إلى ما سوانا . . . أخرجناك من النور إلى الظلمات . . . هنالك تجد الشر كله . . . ويكن عملك كله عملا سيئا . . .

ولذلك كان آخر حديثه . . . صلى الله عليه وسلم :

« ألا وهي القلب » !!!

ما هو . . العملَ . . الصالح . . ؟!

قال البخاري :

﴿ وقال الله تعالى :
﴿ قُلْ كلٌّ يَعملُ على شاكلتِهِ .
﴿ على نيتِه . ﴾

« على نيته » تفسير لقوله ﴿ على شاكلته ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ أي على ناحيته وطريقته .

وقال قتادة : على جانبه وعلى ما ينوي .

وقال إبن عرفة : على خليقته ومذهبه وطريقته .

- ٥ -

ثم يقول البخاري في صحيحه :

﴿ وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم :

﴿ ولكنْ جهادٌ ونيَّةٌ . ﴾

والمعنى أن تحصيل الخير بسبب الهجرة قد انقطع بفتح مكة ، ولكن حصلوه في الجهاد والنية الصالحة .

وفيه الحث على نية الخير مطلقا ، وإنه يثاب على النية .

« جهاد » ولكن طلب الخير جهاد ونية .

- ٦ -

﴿ عن سعدِ بنِ أبي وقاص .

﴿ أنَّ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال :

﴿ إنكَ لَن تُنفقَ نفقةً تبتَغِي بها وجْهَ اللَّهِ .

﴿ إلا أُجِرتَ عليها .

﴿ حتى ما تَجعَلُ فِى فِى امرَأتِكَ . ﴾

[أخرجه البخاري]

أي : لن تنفق نفقة لوجه الله تعالى إلا حال كونك مأجورا عليها « فى فى » أى فى فم

وفيه تمثيل باللقمة مبالغة في حصول الأجر ، لأن الأجر إذا ثبت في لقمة زوجة غير مضطرة ، ثبت فيمن أطعم المحتاج كسرة أو رغيفا بالطريق الأولى .

وقال النووي :

هذا بيان لقاعدة مهمة ، وهي أن ما أريد به وجه الله تعالى ثبت فيه الأجر ، وإن حصل لفاعله في ضمنه حظ نفس من لذة أو غيرها .

فلهذا مثل صلى الله عليه وسلم بوضع اللقمة في فم الزوجة ، ومعلوم أنه غالبا يكون بحظ النفس والشهوة واستمالة قلبها ، فإذا كان الذي هو من حظوظ النفس بالمحل المذكور من ثبوت الأجر فيه ، وكونه طاعة وعملا أخرويا ، إذا أريد به وجه الله تعالى ، فكيف الظن بغيره مما يراد به وجه الله تعالى ، وهو مباعد للحظوظ النفسانية ؟ !

« تبتغي بها وجه الله » أي ذاته عز وجل ، المعنى أنه لا يطلب غير الله تعالى .

فإن قلت : لمَ خص المرأة بالذكر ؟

قلت : لأن عود منفعتها إلى المنفق ، فإنها تؤثر في حسن بدنها ولباسها ، والزوجة من أحظ حظوظه الدنيوية وملاذه ، والغالب من الناس النفقة على الزوجة لحصول شهوته وقضاء وطره ، بخلاف الأبوين فإنها ربما تخرج بكلفة ومشقة ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه إذا قصد باللقمة التي يضعها في فم الزوجة وجه الله تعالى وجعل له الأجر مع الداعية ، فمع غير الداعية وتكلف المشقة أولى .

﴿ إشعاعات الحديث ﴾

ما مكنون قوله تعالى ﴿ **كلٌّ يعملُ على شاكلتِهِ** ﴾ ؟! .

وما مكنون قوله .. صلى الله عليه وسلم ... « **ولكن جهاد ونية** » ؟!

وما مكنون قوله عليه الصلاة والسلام : « **إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها** » ؟!

لذلك كله مفتاح واحد ... إذا فتحت به ذلك البحر ... انساب إلى قلبك انسياباً !!!

والمفتاح مكنون في قوله عليه الصلاة والسلام :
« تبتغي بها وجه الله » !!!

ما حقيقة معناها ؟!

أي : تريد بها التوجه إلى الله . . .

أي : تريد بها أن يتوجه قلبك إلى الله . . .

أي : ما من عمل يصدر عنك ظاهراً أو باطناً . . . قولاً أو فعلاً . . . سراً أو علانية . . . وقلبك في حالة توجه إلى الله . . . إلا أجرت به !!!

ولكن كيف يحدث هذا ؟!!

إذا كان قلبك متجهاً إلى الله . . . خرج من الظلمات إلى النور فوراً . . .

ومتى كان القلب في مقامات النور . . . كان كل ما يصدر عنه نوراً . . .

وهذا هو معنى « إلا أجِرْت عليها » .

أي : إلا ازددت بها نوراً . . . إلا ازداد قلبك بها قرباً من الله . . .

إلا ارتفعت بها درجة في مقامات النور . . .

هذا هو المفتاح الذي يفتح لك باب الفهم على مصراعيه . . . من تلك الحقائق كلها . . .

الآن ما حقيقة معنى قوله عليه السلام : ﴿ **ولكن جهاد ونية** ﴾ ؟ !

ولكن يجاهد الإنسان نفسه حتى يخرج من الظلمات إلى النور . . . وكلما استمر جهاده إستمر ترقيه . . . واستمر إرتفاع درجاته . . .

وهذا كله يتوقف على شيء واحد . . . أن يكون القلب متجها إلى الله . . . إرادة وجه الله . . . إرادة التوجه إلى الله . . . وهذا هو معنى « **ونية** » أي إرادة وجه الله . . .

وإذا سمعت قوله . . . صلى الله عليه وسلم ﴿ **إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها** ﴾ تحت إشعاع ذلك المفتاح . . . سطعت الحقيقة أمام عقلك فورا . . .

فإذا كان التوجه قويا . . . كان الإرتفاع في مقامات النور قويا . . .

« **حتى ما تجعل فى فِي أمرأتك** » حتى اللقمة تجعلها في فم زوجتك مداعبة لها . . . حتى هذه الدعابة اللذيذة . . . الصادرة عن حب الشهوات من النساء . . .

يؤجر عليها فورا . . . ويرتفع بها في مقامات النور فورا . . . إذا كان قلبه متجها أثناءها إلى الله !!!

وهنا تتفجر أنوار قوله تعالى : ﴿ **كلٌّ يعملُ على شاكلتِهِ** ﴾ . . .

كل إنسان يعمل أعماله على اتجاهه . . .

أهـل النور يتجهـون بـأعمـالهم إلى الله . . . ويرتفعون بها في درجات النور . . .

وأهل الظلمات . . . يتجهون بأعمالهم إلى ما سوى الله . . . ويهبطون بها في دركات الظلمات . . .

حقائق رائعة . . . مكنونة في نواميس رائعة . . .

يكشفها لك . . . بإذن الله . . . ذلك المفتاح . . . كشفا بديعا !!!

اليُسْر . . والبِشْر . . ؟!

- ٧ -

﴿ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال :

﴿ يسِّرُوا ولا تُعسِّروا .

﴿ وبشِّرُوا ولا تُنفِّروا . ﴾

[أخرجه البخاري]

﴿ بين يدي الحديث ﴾

« يسروا » من يسر ييسر تيسيرا ، من اليسر ، وهو نقيض العسر .

« ولا تعسروا » من عسر تعسيرا ، والمعسرة ضد الميسرة ، والعسرى نقيض اليسرى .

يتلطف بجميعهم بأنواع الطاعة قليلا قليلا ، كما كانت أمور الإسلام على التدريج ، في التكليف شيئا بعد شيء .

لأنه متى يسر على الداخل في الطاعة ، المريد للدخول فيها ، سهلت عليه وتزايد فيها غالبا .

ومتى عسر عليه أوشك أن لا يدخل فيها ، وإن دخل أوشك أن لا يدوم ، أو لا يستحملها .

وفيه الأمر للولاة بالرفق .

وهذا الحديث من جوامع الكلم ، لاشتماله على خيري الدنيا والآخرة .

لأن الدنيا دار الأعمال ، والآخرة دار الجزاء .

فأمر رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . فيما يتعلق بالدنيا بالتسهيل .

وفيما يتعلق بالآخرة بالوعد بالخير ، والإخبار بالسرور ، تحقيقا لكونه رحمة للعالمين في الدارين !!

واعلم أن بين « يسروا » وبين « بشروا » جناس

خطي ، والجناس بين اللفظين تشابههما في اللفظ ، وهذا من الجناس التام المتشابه ، وهذا باب من أنواع البديع الذي يزيد في كلام البليغ حسنا وطلاوة .

﴿ اشعاعات الحديث ﴾

قالوا : هذا الحديث من جوامع الكلم . . . فهل هو حقا كذلك ؟ !

هو كما قالوا . . . بل هو بحر عميق يموج بالحقائق الكلية موجا عظيما !!!

فبأي مفتاح من مفاتيح الحقائق العُلَى نفتح . . . بإذنه تعالى . . . ذلك الحديث ؟ !

أول ما نلاحظ فيه أنه أربع كلمات لا تزيد !!!

استمع :

﴿ يسروا ولا تعسروا

وبشروا ولا تنفروا ﴾ !!!

بلغ أعلى ما يتصور من الإيجاز ، وأعلى ما يتصور من التركيز ، وأعلى ما يتصور من السهولة !!!

يمكن لجميع المستويات . . . الأطفال . . . الشباب . . . الشيوخ . . . أن يحفظوه . . . بمجرد سماعه !!!

وتلك ميزة أولى . . .

وبركة عجيبة . . . في كلامه . . . صلى الله تعالى عليه وسلم !!!

فلو جئت إلى طفل . . . ولقنته ﴿ **يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا** ﴾ لرددها فورا . . . ووجد لها أنغاما قدسية . . . تموج في قلبه موجا . . . وتجذبه إليها جذبا لطيفا عنيفا !!!

فمن أين لتلكم الكلمات الأربع ذلك الأثر العجيب ؟ !!

بأنه نور . . . تشعشع من قلبه الشريف . . .

بأنه « **وحيٌ يُوحَى** » صدر عن قلبه الشريف . . . إنها موجات نورية . . . من أعلى ما يمكن أن يموج إلى القلوب . . .

فما سمعها قلب مؤمن . . . إلا التقطها فورا . . .

لشدة ما فيها من نور . . . وقوة ما فيها من تركيز لذلك النور . . .

من ذا الذي يسمع ﴿ يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا ﴾ ولا يفهمها ؟ !!

بحر من النور . . . له أربعة أبواب . . .

أو تجري منه أربعة أنهار . . . من أنهار الحقيقة . . .

النهر الأول . . . يَسِّروا . . . يا أيها الناس جميعا . . . يسروا . . .

أن الحياة ثقيلة . . . فلا تزيدوها ثقلا وأثقالا . . .

وإنما خففوا عن أولى الأحمال أحمالهم . . .

وخفضوا عن أولات الأحمال أحمالهن . . .

افتحوا الأبواب . . . ارفعوا العوائق . . . دعوا الناس ينطلقوا خفافا في الحياة . . . خفافا إلى ربهم . . .

أن محمدا . . . صلى الله عليه وسلم . . . ذلكم

الرائع الخالد ... الذي ليس كمثله رسول ...

يدعو إلى التسهيل ... في الأمر كله ...

في الحياة ... في الدين ... في كل شيء ...

النهـر الثاني ... ولا تُعسِّـروا ... أبدا ... ابتعدوا عن التعسير إبتعادا تاما ...

لا تقولوا : أنا نيسر وأنا نعسر ...

كلا ... لا تعسروا ... أبدا ...

إن الإنســان خُلق في ضيق ... ويعيش في ضيق ... ويخــرج من مضيق ... ويـدخــل إلى مضيق ... فليس في حاجة إلى زيادة التضييق ...

وإنما هو في حاجة إلى سعة ... إلى فضاء ... إلى هواء فسيح ...

النهـر الثالث ... وبَشِّـروا ... ادخلوا على النــاس السـرور ... تتفتــح قلوبهم على رحمـات ربهم ...

أن الحزن أصل عام في هذه الحياة ... فلا

تزيدوها حزنا . . . وإنما رشوا في ثناياها وحناياها . . .
أنوار السرور رشا !!!

بشروهم أن لهم على القليل كثيرا . . . وزيادة وراء العقول !!!

بشروهم أن لهم من الله فضلا كبيرا . . .

بشروهم أن الله وسعت رحمته كل شيء . . .

سوقوا السرور إلى قلوبهم سوقا . . .

النهر الرابع . . . ولا تُنفِّروا . . . الناس أبدا . . . مهما كان منهم . . .

ولكن استميلوا قلوبهم دائما إلى ربهم . . . تحببوا إليهم . . . بتذكيرهم بنعم الله تعالى عليهم . . . دائما وأبدا . . .

لقد صدق الأقدمون حين قالوا : **هذا الحديث من جوامع الكلم !!!**

إنه حقا وصدقا . . . من أعلى وأغلى . . . وأدق وأرق . . . ما صدر عن ذلكم العظيم . . . صلى الله تعالى عليه وسلم !!!

لو فهمه المسلمون . . . لأدركوا أعماقا من طبيعة دينهم لم يفهموها . . .

ولو فهمه المؤمنون . . . لخفَّفوا من غلوائهم . . . حين يشمئزون من العصاة اشمئزازا !!!

ولو فهمه الذين يلوون أعناقهم عن رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . لجاءوه . . . يشربون من أنهاره الحلوة . . .

إنه أصل عام . . . من أصول هذا الإسلام . . .

إنه بحر عام . . . من بحار الحقيقة العميقة . . .

كأني اسمع صفوفا من الملائكة . . . يموجون باصواتهم المقدسة . . . في أنغام ملائكية عالية . . .

يسِّروا ولا تُعسِّروا . . . وبشروا ولا تنفِّروا . . .

وليت البشر جميعا . . . يستمعون إلى تلك الأنشودة الملائكية . . .

إنها . . . وحيٌ يُوحَى . . .

إنها . . . صوت النبيّ . . .

وما أدراك . . . ما صوت النبيّ ؟ !!

اللَّهُ . . يُعْطِي . . ؟!

- ٨ -

﴿ سمِعتُ النبيَ صلى الله عليه وسلم يقولُ .

﴿ مَن يُردِ اللَّهُ بهِ خيْراً يُفقِّهْهُ في الدينِ .

﴿ وإنما أنا قاسمٌ

﴿ واللَّهُ يُعطِي .

﴿ ولن تزالَ هذهِ الأمَّةُ قائمةً على أمرِ اللَّهِ ، لا يضُرُّهُمْ مَن خالَفهُمْ حتَّى يأتيَ أمرُ اللَّهِ . ﴾

[أخرجه البخاري]

﴿ بين يدي الحديث ﴾

« خيرا » منفعة .

« يفقهه » يجعله فقيها في الدين ، والفقه الفهم .

وقال الحسن البصري : الفقيه هو الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، البصير بأمر دينه ، المداوم على عبادة ربه .

وقالوا : الفقه العلم بالشيء والفهم له ، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلوم .

وقالوا : القرآن أصل لكل علم ، به فقه العلماء .

« الأمة » الجماعة .

وفي الحديث تنكير قوله « خيرا » لفائدة التعميم .

فالمعنى : من يرد الله به جميع الخيرات .

ويجوز أن يكون التنوين للتعظيم ، أي : من يرد الله به خيرا عظيما .

وقالوا : إعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام أعلم أصحابه أنه لم يفضل في قسمة ما أوحى الله إليه أحدا من أمته على أحد ، بل سوى في البلاغ ، وعدل في القسمة ، وإنما التفاوت في الفهم ، وهو واقع من طريق العطاء .

ولقد كان بعض الصحابة رضي الله عنهم يسمع الحديث فلا يفهم منه إلا الظاهر الجليّ ، ويسمعه آخر منهم ، أو من بعدهم فيستنبط منه مسائل كثيرة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقالوا : لما كان فقههم متفاوتا لتفاوت الأفهام أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿ **إنما أنا قاسم** ﴾ يعني هذا التفاوت ليس مني وإنما الذي هو مني هو القسمة بينكم ، يعني تبليغ الوحي إليهم من غير تخصيص بأحد ، والتفاوت في أفهامهم من الله تعالى ، لأنه هو المعطي ، يعطي الناس على قدر ما تعلقت به إرادته ، لأن ذلك فضل منه يؤتيه من يشاء .

وفي قوله ﴿ **ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله** ﴾ قال النووي : يحتمل أن تكون هذه الطائفة مفرقة

من أنواع المؤمنين ، فمنهم مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد إلى غير ذلك .

وقالوا : في الحديث دلالة على حجية الإجماع لأن مفهومه أن الحق لا يعدو الأمة .

واستدل به البعض على امتناع خلو العصر عن المجتهد .

وفيه فضل العلماء على سائر الناس .

وفيه فضل الفقه في الدين على سائر العلوم ، وإنما ثبت فضله لأنه يقود إلى خشية الله تعالى والتزام طاعته .

وفيه اخباره عليه الصلاة والسلام بالمغيبات . وقد وقع ما أخبر به ولله الحمد ، فلم تزل هذه الطائفة من زمنه وهلم جرا ، ولا تزول حتى يأتي أمر الله تعالى .

﴿ اشعاعات الحديث ﴾

ما هو هذا الفقه ، الذي جعله رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . منبع جميع الخيرات ؟ !

هل هو هذا العلم المسمى الآن « **الفقه** » الذي يدور في أحكام الوضوء والصلاة والصيام وغيرها ؟ !!

كلا . . . وإن كان هذا من الفقه . . . ولكنه أقل درجات الفقه شأنا !!!

إذا ما هو الفقه ؟ !

ما حقيقة الفقه ؟ !!

الفقه . . . هو الفهم . . .

ولكن أي فهم هذا ؟ !

أن يكون المرء ذا مفاهيم عالية في حقائق هذا الدين الواسع !!!

فإذا سمعت قوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ **من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين** ﴾ كان مكنون حقائقها . . . من يرد الله به جميع الخيرات . . . أو أن يناله أعظم نصيب من الخيـــر . . . يفقهـه . . . يجعله ذا فهم رفيع . . . في الدين . . . في حقائق هذا الدين كلها !!!

ولكن كيف يتأتى هذا لأي إنسان ؟ !

المفتـــاح . . . أن يتجـــه قلبـــه إلى الله . . . رأسا . . . مباشرة . . .

ولا يلتفت قلبه إلى شيء سواه عز وجلّ . . .

وبمجرد إتجاه القلب إلى الله . . . يخرج من الظلمات إلى النور فورا . . .

ومتى دخل القلب مقامات النور . . . بدأ الفقه فورا . . . بدأ الفهم فورا . . . الفهم الحقيقي لحقائق هذا الدين . . .

وكلما إرتقى في مقامات النور درجة . . . إزداد إدراكـا وازداد كشفـا . . . فـــازداد فقهـا . . . وازداد فهما . . .

وهذا هو المراد بقوله ﴿ **يفقهه في الدين** ﴾ أي : يعطيه نورا . . . يجعل له نورا . . . يبصر به ما لا يبصرون . . .

إنـه عين قـولـه تعـالى ﴿ **اتقـوا الله ويعلمكم الله** ﴾ !!!

وهذا هو الفقه الحق . . .

« **وإنما أنا قاسم** » إنما أنا . . . مذيع . . . مبلغ . . . ما يوحي إليّ . . .

أذيع . . . أبلغ كل الناس . . . ما أوحى الله إليّ . . .

« **والله يعطي** » والله يعطي باستمرار . . . بدون توقف . . . ﴿ **وما كان عطاء ربك محظورا** ﴾ .

الله يعطي ؟ !!

أعطاني . . . ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ . . .

فأذعت فيكم ما أعطاني . . .

فمن فتح قلبه . . . تدفق من ذلك العطاء إلى قلبه فورا . . .

إن الله تعالى « **يعطي** » دائما بلا توقف . . .

وإنما هي القلوب التي تلتقط أو لا تلتقط . . .

فإن كانت مفتوحة على الله . . . دخلت مقامات النور . . . فالتقطت فورا . . . ما فيها من عطائه سبحانه . . .

وإن كانت مقفلة عن الله دخلت الظلمات . . . فانغلقت فورا عن التقاط عطاياه سبحانه . . .

الله يُعطي ؟ !!

يعطي أزلا وأبدا . . .

افتحوا قلوبكم دائما . . . وجهوها نحو الله . . . تلتقط فورا موجات عطائه سبحانه . . . ثم يكشف صلى الله عليه وسلم . . . حقيقة كبرى . . . لقلوب أهل النور . . . فيقول : ﴿ **ولن تزال هذه الأمة** ﴾ أي أمة تراد في هذا السياق ؟ !

أي : الجماعة المتجهة بقلوبها رأسا إلى ربها . . . التي لا تلتفت قلوبها إلى شيء سواء سبحانه . . .

أي : ولن تزال هذه الأمة . . . هذه الجماعة . . . هذه الطائفة من القلوب . . . قلوب أهل النور . . .

« **قائمة على أمر الله** » لأنها في مقامات النور . . . فهي تبصر سبيلها إليه تعالى . . .

« لا يضرهم من خالفهم » لا يضرهم أهل الظلمات . . . الذين ساروا في الإتجاه المضاد . . .

لأن القلوب التي في مقامات النور . . . مفتحة الأبواب . . . على الموجات العليا . . . مغلقة الأبواب على الموجات السفلى . . .

فهي تلتقط دائما كلمات الله . . . وحيه . . . وكلمة الله هي العليا . . .

ولا تلتقط وساوس الشياطين . . . الموجات السفلى . . . وكلمة الذين كفروا السفلى . . .

ولكن هل هذا في زمان دون زمان . . . أم هو ناموس كلي خالد إلى يوم القيامة ؟ !

الجواب : « حتى يأتي أمر الله » حتى تقوم الساعة !!!

عجائب رفيعة . . . تكشفها اشعاعات ذلكم الحديث البديع !!!

العجيبة الأولى . . . أن علامة إرادة الخير

للإنسان . . . أن يكون ذا فهم عال في حقائق دينه كلها . . .

وأن ذلك يتيسر للقلب المخلص . . . وكلما خلص إتجاه القلب إلى ربه . . . كلما انكشفت له مفاهيم أعلى . . .

وأن عطاياه سبحانه مرسلة أبدا وأزلا لا تتوقف . . .

وأن أهل النور . . . أهل القلوب المتجهة إلى ربها في إخلاص . . . ينتظمون على أوامر الله . . . ما استطاعوا . . . مهما كانت الظروف . . . وأحوال زمانهم من الفساد . . .

وأن الناس جميعا . . . لا يستطيعون إخراجهم من النور إلى الظلمات . . . ما دامت قلوبهم تداوم التوجه إلى الله . . .

وأن ذلك كله ناموس . . . لا تبديل له ولا تحويل . . . إلى يوم القيامة !!!

فانظر . . . كم للنبوة من عجب ؟ !!!

القلوب . . ثلاثة . . ؟!

- ٩ -

﴿ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

﴿ مَثلُ ما بَعثني اللَّهُ بهِ منَ الهُدَى والعلمِ .

﴿ كمثَلِ الغيْثِ الكثيرِ أصابَ أرضاً .

﴿ فكانَ منها نقيَّةٌ قَبلتِ الماءَ ، فـأنبتَتِ الكلأَ والعُشبَ الكثيرَ .

﴿ وكانتْ منها أجادبُ ، أمسكتِ الماءَ ، فنفعَ اللَّهُ بها الناسَ ، فشرِبوا وسقَوْا وزرَعُوا .

﴿ وأصابتْ منها طائفةٌ أخْرى ، إنما هيَ قِيعانٌ ، لا تُمسكُ ماءً ولا تُنبتُ كَلأً .

﴿ فذلك مَثَلُ مَن فقُهَ في دينِ اللّهِ ، ونفعَهُ ما بعثني اللّهُ بهِ ، فعَلِمَ وعَلَّمَ .

﴿ ومَثلُ مَن لَم يَرفَعْ بذلكَ رأساً ، ولم يَقبلْ هُدى اللّهِ الذي أُرسلتُ به . ﴾

[أخرجه البخاري]

﴿ بين يدي الحديث ﴾

« مَثل » المراد به ههنا الصفة العجيبة .

« من الهدى » الدلالة الموصلة إلى البغية . . . وبلغة اليوم : التوجيه

« الغيث » المطر .

« نقية » من النقاء . . . أي طيبة .

« الكلأ » النبات . . . يابسا ورطبا .

« العشب » الأعشاب التي تنبت في كل مكان .

« أجادب » جمع جدب . . . الأرض التي لا تشوب لصلابتها فلا تنبت شيئا . . . أي : أرضا حجرية صلبة .

« **طائفة** » قطعة أخرى من الأرض .

« **قيعان** » الأرض المتسقة الملساء التي لا نبات فيها . . . أي : مساحات من الأرض التي لا تصلح لامساك الماء ولا للانبات .

« **فشربوا وسقوا وزرعوا** » أي : فشربوا من الماء ، وسقوا دوابهم ، وزرعوا ما يصلح للزرع . . .

« **من لم يرفع بذلك رأسا** » يعني تكبر ، يقال ذلك ويراد به أنه لم يلتفت إليه من غاية تكبره .

قال النووي :

معنى هذا التمثيل أن الأرض ثلاثة أنواع ، فكذلك الناس .

فالنوع الأول من الأرض ينتفع بالمطر ، فتحيي بعد أن كانت ميتة ، وتنبت الكلأ ، فينتفع به الناس والدواب .

والنوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم ، فيحفظه ويحيي قلبه ويعمل به ويعلمه غيره ، فينتفع وينفع .

والنوع الثاني من الأرض ما لا يقبل الإنتفاع في نفسها ، لكن فيها فائدة وهي إمساك الماء لغيرها ، فينتفع به الناس والدواب .

وكذا النوع الثاني من النّاس ، لهم قلوب حافظة ، لكن ليست لهم أذهان ثاقبة ، ولا رسوخ لهم في العلم ، يستبطون به المعاني والأحكام ، وليس لهم إجتهاد في العمل به ، فهم يحفظونه حتى يجىء أهل العلم للنفع والإنتفاع ، فيأخذه منهم فينتفع به ، فهؤلاء نفعوا بما بلغهم .

والثالث من الأرض هو السباخ التي لا تنبت ، فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع به غيرها .

وكذلك الثالث من الناس ، ليست لهم قلوب حافظة ، ولا أفهام واعية ، فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ولا يحفظونه لنفع غيرهم .

الأول . المنتفع النافع

والثاني . . . النافع غير المنتفع .

والثالث . . . غير النافع وغير المنتفع .

فالأول . إشارة إلى العلماء .

والثاني . . . إلى النقلة .

والثالث . . . إلى من لا علم له ولا نقل .

﴿ اشعاعات الحديث ﴾

لهذا الحديث مفتاح بسيط . . . لو فتحنا به أمواج بحاره . . . انفتحت بإذن الله . . . علينا عجائبها تترى !!!

هذا المفتاح . . . هو أن نعلم أن المراد المكنون . . . هو تقسيم قلوب الناس . . .

وأن القلوب نوعان . . .

قلوب طيبة . . . وقلوب خبيثة . . .

أو قلوب أهل النور . . . وقلوب أهل الظلمات . . .

أو قلوب متجهة إلى ربها . . . وقلوب متجهة إلى ما سواه سبحانه . . .

قلوب أهل النور . . . منفتحة على الموجات

العليا . . . تلتقطها فورا . . . وتذيعها فورا . . .

إلا أنها درجات . . . فمن كان في الدرجات الدنيا من النور . . . التقط وأذاع ما التقط ليس إلا . . . كجهاز الراديو . . . يلتقط ويذيع ما التقط أوتوماتيكيا لا يزيد ولا ينقص . . .

أما من كان في الدرجات الرفيعة من مقامات النور . . . فإنه يلتقط موجات النور . . . ثم ينفعل بها . . . ويفهم منها ما شاء من الفهم . . . ثم يؤديه إلى الناس . . . ومعه إنطباعاته ومفاهيمه فتزيدهم فهما لما يذيع عليهم . . .

أما الصنف الثاني . . . قلوب أهل الظلام . . . فهؤلاء مقفلة قلوبهم عن موجات النور . . . منفتحة أوتوماتيكيا على موجات الظلام . . .

فهناك إستحالة أن تلتقط الموجات النورانية . . . أو تذيعه على أحد . . .

هذا هو المفتاح البسيط . . . الذي يفتح لك آفاق ذلك الحديث الجميل فتحا عجبا !!!

ولننظر الآن إلى تضاعيف الحديث بعد تلك الشعاعة . . .

﴿ مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ﴾ من لتوجيه والعلوم . . . أي : من النور . . .

« كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكان منها نقية ، قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير » الأرض الطيبة إذا نزل عليها الماء . . . قبلت الماء : امتصت الماء . . . واهتزت وانبتت من جميع أنواع الكلأ . . . الزراعات . . . والعشب . . . الأعشاب . . . إنها خير كلها . . . الكثير : أعداد لا حصر لها من الزرع والأعشاب . . .

هذا في الأرض المحسوسة . . .

كذلك في عالم القلوب . . . قلوب أهل النور . . . تلتقط الماء . . . وماء القلوب أنوار . . . تلتقط موجات النور . . . وتنفعل بها . . . فترتقي وترقي معها غيرها ممن عنده استعداد للترقي . . .

والتمثيل النبوي . . . يدور في نفس الإطار

القرآني ﴿ اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها ﴾ . . . كما يحيي الأرض بالماء . . . بالغيث . . . يحيي القلوب بالأنوار . . . بفتحها على موجات النور !!!

« وكانت منها أجادب . أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا » هذا صنف من الأرض . . . الصلبة . . . تجمعت فيها مياه الأمطار . . . فكان منها بحيرات صغيرة . . . انتفع الناس منها . . . فشربوا من مائها ، وسقوا دوابهم ، وزرعوا نباتاتهم من مياهها . . .

هذا في عالم الأرض . . . فماذا في عالم القلوب . . . هناك قلوب بسيطة من أهل النور . . . لم ترتفع إلى الدرجات التي تؤهلها لالتقاط علالي الموجات . . . فحفظت نصوص القرآن ، ونصوص الأحاديث . . .

وأدتها إلى الناس . . . وهذا أقصى استعدادهم . . . فهم أصحاب نفع محدود . . . هم بحيرات لتجميع المياه . . . ليس إلا . . .

ويدخل في هذا الصنف جماهير العوام ، وأكثر

أهل الإسلام . . . الذين لا إستعداد لهم أكثر من ترداد النصوص كما تردد الببغاوات ما تسمع !!!

فماذا عن النوع الثاني من الأرض ؟ !! « **وأصابت منها طائفة أخرى ، إنما هي قيعان ، لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ** » . . . إنما هي قيعان : مساحات شاسعة من الأرض الخبيثة ، ودائما الخبث كثير في كل شيء . . . لا تمسك ماء : لا تحتفظ بماء . . . ولا تنبت كلأ . . . ولا تنبت نوعا ما من الزرع . . .

هـذا في عالم المحسـوس ، فماذا في عـالم القلوب ؟ !!

قلوب أهل الظلام . . . مقفلة تماما عن التقاط الموجات العليا . . . موجات النور . . .

لا تمسك ماء : لا تلتقط نورا . . .

ولا تنبت كلأ : ولا تذيع نورا . . .

هناك إستحالة . . . لعدم استعدادها !!!

« **فذلك مثل من فقه في دين الله** » من فهم وانفعل بنور الوحي . . .

« ونفعه ما بعثني الله به فعَلِم وعَلَّم » التقط موجات النور ، وانفعل بها ، وإذاعها إلى ما سواه . . . فارتقى ورفع غيره إلى المرتقى !!!

« ومثل من لم يرفع بذلك رأسا » ومثل قلوب أهل الظلام ، التي تكبرت ، واستحال أن تلتقط موجات النور . . . لعدم إستعدادها . . .

« ولم يقبل هدى الله ، الذي أرسلت به » ولم يلتقط قلبه النور . . . الـذي أرسلت به إلى النـاس كافة . . . الذي أرسلته . . . موجات من نور . . . اثر موجات إلى جميع القلوب . . .

فالتقطت قلوب أهل النور ، واستحال أن تلتقط قلوب أهل الظلام منها شيئا !!!

ذلـك هـوَ المفتـاح . . . الفَتَّـاح . . . فـإذن الفتَّاح . . .

لا إله إلا هو ؟ !!

ما وراء . . التليفيزيون . . ؟!

- ١٠ -

﴿ عن أسماءَ قالتْ :

﴿ أتيْتُ عـائشةَ وهي تُصلِّي فقلتُ : مـا شأنُ الناسِ ؟ !

﴿ فأشارتْ إلى السماءِ

﴿ فإذا الناسُ قيامٌ .

﴿ فقالتْ : سبحانَ اللَّهِ

﴿ قلتُ : آيةٌ ؟ !

﴿ فأشارتْ برأسِها : أيْ نعَمْ

﴿ فقمتُ حتى تَجلاَّني الغَشْيُ ، فجعلْتُ أصبُّ على رأسِي الماءَ .

﴿ فحمِدَ اللَّهَ عزَّ وجلَّ ، النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وأثنى عليه ، ثم قالَ :

﴿ ما مِن شيْءٍ لمْ أكُن أُريتُهُ إلا رأيتُهُ في مَقامي ، حتى الجنَّةُ والنارُ .

﴿ فأُوحيَ إليَّ أنكُمْ تُفتنونَ في قبورِكُمْ ، مِثلَ - أو قريبَ -

﴿ لا أدرِي أيَّ ذلكَ قالتْ أسماءُ .

﴿ مِن فتنةِ المسيحِ الدَّجالِ .

﴿ يُقالُ : ما عِلمكَ بهذا الرجُلِ ؟

﴿ فأمَّا المؤمنُ - أو الموقِنُ -

﴿ لا أدرِي بأيِّهما قالتْ أسماءُ .

﴿ فيقولُ : هوَ مُحمدٌ رسولُ اللَّهِ ، جاءَنا بالبيِّناتِ والهُدَى ، فأجبْنا واتَّبَعْنا .

﴿ هوَ مُحمدٌ .

﴿ ثلاثاً .

﴿ فيقالُ : نَمْ صالحاً ، قدْ عَلِمنا إن كنتَ لموقِناً .

﴿ وأما المنافقُ ـ أو المرتابُ ـ

﴿ لا أدري أيَّ ذلكَ قالتْ أسماءُ .

﴿ فيقولُ : لا أدرِي ، سمِعتُ الناسَ يقولونَ شيئاً فقُلتُهُ . ﴾

[أخرجه البخاري]

﴿ بين يدي الحديث ﴾

« حتى علاني » حتى غلبني .

« الغشي » الاغماء . . . وذلك لطول القيام وكثرة الحر ، ولذلك قالت : فجعلت أصب على رأسي ، أو على وجهي من الماء .

« تفتنون » تمتحنون . . . والفتنة : الإمتحان والإختبار . . . قال تعالى .

﴿ وفتناك فتونا ﴾ واختبرناك اختبارا .

« **المسيح** » أو المسيخ . . . أي المخلوق خلقا ممسوخا . . . ملعونا .

« **الدجَّال** » من الدجل وهو الكذب والتمويه وخلط الحق بالباطل ، وهو كذاب مموه خلاط . . . وكل كذاب دجَّال . . .

« **آية** » ؟ . . . أي : هي آية ، أي علامة لعذاب الناس ؟

« **في مقامي** » حال كوني في مقامي هذا . . . أي : في مكاني هذا . . . في موقفي هذا .

« **حتى الجنة والنار** » حتى الجنة والنار مرئية .

« **مثل أو قريبا** » مثل فتنة المسيح أو قريب فتنة المسيح .

والتقدير : تفتنون في قبوركم فتنة مثلا ، أي : مماثلا فتنة المسيح الدجال ، أو فتنة قريبا من فتنة المسيح الدجال .

« **ثلاثا** » أي يقول المؤمن : **هو محمد** . . . ثلاث مرات ، مرتين بلفظ « **محمد** » ومرة بصفته .

أي : **هو محمد ... هو محمد ... هو محمد رسول الله** .

« **إن كنت لموقنا** » ما كنت إلا موقنا ... أو : علمنا كونك موقنا به .

« **وأما المنافق فيقول لا أدري** » أي : لا أدري ما أقول .

وفي بيان معانيه قالوا :

« **ما شأن الناس** » ؟ ! ... أي : قائمين مضطر بين فزعين ؟

« **فأشارت** » أي : عائشة رضي الله عنها إلى السماء ، تعني انكسفت الشمس فإذا الناس قيام ، أي لصلاة الكسوف .

« **آية** » أي علامة لعذاب الناس ، كأنها مقدمة له ، قال الله تعالى ﴿ **وما نرسل بالآيات إلا تخويفا** ﴾

أو : علامة لقرب زمان القيامة ، وأمارة من أماراتها .

أو : علامة لكون الشمس مخلوقة داخلة تحت

النقص ، مسخرة لقدرة الله تعالى « **وأثنى عليه** » الثناء أعم من الحمد والشكر والمدح .

« **ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته** » قال العلماء : يحتمل أن يكون قد رأى رؤية عين ، **بأن كشف الله تعالى له مثلاً عن الجنة والنار ، وأزال الحجب بينه وبينهما ، كما فرج له عن المسجد الأقصى حين وصفه بمكة للناس** .

أو : أن يكون رؤية علم ووحي ، بإطلاعه وتعريفه من أمورهما تفصيلاً ما لم يعرفه قبل ذلك .

وقال القرطبي :

ويجوز على هذا القول أن الله تعالى مثل له الجنة والنار وصورهما له في الحائط كما تمثل المرئيات في المرآة .

ويعضده ما رواه البخاري من حديث أنس في الكسوف ، فقال عليه الصلاة والسلام « الجنة والنار ممثلتين في قبلة هذا الجدار[1] » .

---

(١) تأمل ؟ !! . . . انه التليفيزيون . . . ولكن أعلى وأعلى من تليفيزيون اليوم . . . إن الجنة والنار تُعرضان عليه جميعا في الجدار !!!

وتأمل قوله « صورت لي » ؟ !

وفي مسلم « إني صورت لي الجنة والنار ، فرأيتهما بدور هذا الحائط » .

« بهذا الرجل » لم لا يقولن رسول الله ؟

قلت : لئلا يتلقن المقبور منهما إكرام الرسول ورفع مرتبته ، فيعظمه تقليداً لهما لا اعتقاداً .

« أو الموقن » أي المصدق بنبوته عليه الصلاة والسلام .

« جاءنا بالبينات » بالمعجزات الدالة على نبوته ، والهدى : الدلالة الموصلة إلى البغية ، أو الإرشاد إلى الطريق الحق الواضح .

« فأجبنا » فقلبنا نبوته معتقدين حقيقتها ، معترفين بها ، واتبعناه فيما جاء به إلينا .

« صالحاً » منتفعاً بأعمالك وأحوالك ، إذ الصلاح كون الشيء في حد الإنتفاع .

أو : صالحاً لأن تكرم بنعيم الجنة .

« إن كنت لموقناً » معناه : أنك مؤمن . . . أو : أنك كنت مؤمناً .

من التصوير . . . هناك أفلام ملونة . . . مصورة . . . تمر أمام عينيه . . . أفلام هائلة !!!

« **وأما المنافق** » أي : غير المصدق بقلبه لنبوته ، وهو في مقابل المؤمن .

« **والمرتاب** » أي : الشاك ، وهو في مقابلة الموقن

« **فقلته** » أي : قلت ما كان الناس يقولونه .

وفي بعض الروايات الأخر أنه يقال « **لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه ، غير الثقلين** » .

وفي بيان استنباط الأحكام منه قالوا :

فيه كون الجنة والنار مخلوقتين اليوم ، وهو مذهب أهل السُنة .

وفيه إثبات عذاب القبر ، مع غيره من الأدلة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة .

وفيه إحياء الميت ، وتواترت الأخبار بذلك .

وفيه خروج الدجّال .

وفي سُنية صلاة الكسوف ، وتطويل القيام فيها

وفيه مشروعية هذه الصلاة للنساء .

وفيه جواز حضورهن وراء الرجال في الجماعات .

وقيل : هل فيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام رأى في هذا المقام ذات الله سبحانه وتعالى ؟

أجيب : **نعم . إذ الشيء يتناوله ، والعقل لا يمنعه ، والعرف لا يقتضي إخراجه .**

﴿ إشعاعات الحديث ﴾ .

هذا هو الحديث . . . الذي سجل تلك المعجزة الرائعة . . . من معجزاته . . . صلى الله عليه وسلم . . . الكبرى ؟!!!

صلَّى . . . صلَّى الله عليه وسلم . . . بالناس . . . وقام بهم طويلاً . . . حتى أصاب أسماء الاغماء !!!

وبعد الصلاة . . . صلاة الكسوف . . . قام . . . صلى الله عليه وسلم . . . يعلن إلى الناس كافة . . .

« ما من شيء لم أكن أريته ، إلا رأيته في مقامي هذا ، حتى الجنة والنار » !!!

ما من شيء ؟!!
إطلاق الإطلاق !!!
كل شيء . . . مما كان أو يكون !!!

« لم أكن أريته » حتى هذه اللحظة .

« إلا أريته في مقامي هذا » في مكاني هذا . . . في موقفي هذا . . .

« في مقامي هذا » أي من الله ـ تعالى . . . في هذه الدرجة التي ليس وراءها من درجة . . . حيث أراني الله تعالى كل شيء !!!

« حتى الجنة والنار » ؟!!

إشارة إلى أن ما رآه . . . صلى الله عليه وسلم . . . يشمل ما وراء الدنيا . . . وما وراء السماوات . . . وما وراء العقول جميعاً !!!

ما هذا ؟!!

كيف يمكن أن يرى رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . كل شيء ؟!!

ذلك أمر وراء إدراك العقول . . .

إنه عطاؤه سبحانه . . . لرسوله . . . صلى الله عليه وسلم . . .

وإنما هناك مفتاح . . . يقرب إليك هذا . . . من كلامه . . . صلى الله عليه وسلم :

« الجنة والنار ، ممثلتين في قبلة هذا الجدار » !!!

في الحائط . . . يمر فيلم كامل عن الجنة والنار . . . أمامه . . . صلى الله عليه وسلم . . .

هل كان يبصره بعينيه الشريفتين . . . أم بقلبه الشريف ؟!!

كل أولئك جائز . . .
والله . . . ورسوله . . . أعلم . . .

أنظر إلى جهاز التليفيزيون . . .

وتفكر في ملايين الأجهزة . . . التي يتابع أمامها اليوم . . . ملايين من سكان أوروبا وأمريكا . . . رحلات الفضاء لحظة بلحظة . . .

ثم اربط بين عجائب هذا الجهاز . . .

وبين المعجزة التي تحققت له . . . صلى الله عليه وسلم . . . في مقامه ذاك . . .

تتلألأ في قلبك . . . دلائل الإعجاز . . . من ذلك النبي . . . صلى الله عليه وسلم . . .

إن التليفيزيون آلة مادية . . . لها قوانين معلومة . . . وإمكانيات محدودة . . .

ولكن رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . .

بدون جهاز تليفيزيون . . . أو محطة إرسال تليفيزيوني . . .

يرى . . . كل شيء . . . في السماوات . . . في الأرض . . . في الماضي . . . في الحاضر . . . في المستقبل . . .

فلئن كان جهاز التليفيزيون . . . إشارة . . . تقرب إليك تلك المعجزة . . .

إلا أن المعجزة . . . تبقى . . . وراء إدراك العقول . . . ووراء ما يمكن أن تبدعه العقول !!!

فهرس

صفحة

مقدمة ٧

إنما ... الأعمال ... بالنيات ١١

حنيفاً ٣٣

القلب ٤٩

ما هو ... العمل ... الصالح ؟ ٦٩

اليُسر ... والبِشر ٧٧

الله ... يُعطِي ٨٧

القلوب ... ثلاثة ٩٧

ما وراء ... التليفيزيون ١٠٧

أخطاء مطبعية

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	التصحيح
١٥	٧	التضمنه	لتضمنه
٤٥	١٦	هوم	وهم
٥٩	٤	بما شيته	بماشيته
٦٠	٦	بلع	بلغ
٦٣	١٢ ، ١٥	لا لتقاط	لإلتقاط
١١٣	١١	فقلبنا	فقبلنا

المكتبة العصرية
للطباعة والنشر
تلفون: ٢٢٧٥٤٥ - ص.ب: ٨٢٥٥
بيروت - لبنان